



خامساً

آداب الذكر

سلسلة مجالس التقرب إلى الله تعالى



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يمكن تلخيص أهم آداب الذكر بالأمور التالية:

- ١- الإخلاص والصدق في النية.
- ٢- الحفاظ على طهارة الأبدان وطهارة الجنان.
- ٣- الإقبال على الذكر بشوق وبهمة عالية.
- ٤- الاستدامة على الذكر وعدم الترك.
- ٥- حضور القلب وعدم الالتفات.
- ٦- عدم ترك الذكر بسبب عدم حضور القلب.
- ٧- عدم تأخير الذكر والتسويق.
- ٨- قضاء الذكر.
- ٩- الحرص والمواظبة على الذكر مع الجماعة.
- ١٠- آداب الذكر بعد الفراغ منه:
  - أ- الهدوء والخشوع والسكينة مدة مناسبة قبل القيام من مجلس الذكر.
  - ب- استحضر الذكر في القلب على كل حال من أحوال العمل اليومي.
  - ج- التمسك بأخلاق الذاكرين في السلوك اليومي.

أولاً: الإخلاص والصدق في النية:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [سورة الزمر]. لا يستفيد الذاکر من ذكره إذا لم يتوج بالإخلاص وعدم النظر إلى ما سوى الله؛ وعلى الذاکر ألا يلتفت في قلبه ومقاصده إلى غير الله تعالى، وألا ينشغل بالناس وبمن دخل وخرج أو قام وقعد، وبمن رآه أو رأى ما يظهر عليه من خشوع أو تأثر بالذکر، بل يجب عليه أن يتوجه بالكلية إلى المذكور جل جلاله ولذلك قال العارفون: (مُلْتَفِتٌ لَا يَصِلُ).

قول

فائدة

قليل من الذکر مع الإخلاص والصدق وانقطاع القلب عما سوى الله تعالى، خير من كثير من الذکر مع الالتفات ..

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن: يا رسول الله أوصني، قال: «أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِيكَ الْعَمَلُ الْقَلِيلُ»<sup>(١)</sup>. وهكذا يُخلص الذاکر ويصدق حتى يستوي عنده السر والعلانية، وينقطع عنه الرياء وكثرة الوسوس. يقول أبو سليمان الداراني: (إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوسوس والرياء)<sup>(٢)</sup>.

قول

ومع الإخلاص لا بد من تصحيح النية لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِيَ هِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤/٣٤١).

(٢) الرسالة القشيرية ص ٢١٠.

(٣) أخرجه البخاري (٣/١).

يقول ابن قيم الجوزية: (فالكَيْس [ أي العاقل والفطن حسن الفهم ] يقطع من المسافة بصحة العزيمة، وعلو الهمة، وتجريد القصد، وصحة النية مع العمل القليل، أضعاف أضعاف ما يقطعه الفارغ من ذلك مع التعب الكثير والسفر الشاق)<sup>(١)</sup>.

### ثانياً : الحفاظ على طهارة الأبدان وطهارة الجنان:

#### أ- طهارة الأبدان:

على الدَّاكِر أن يعتني بطهارة جسمه، واختيار أطهر الأماكن التي يُذكر اسم الله فيها وخيرها المساجد، ويتطيب ويطيب مكان ذكره ويختار المواضع الهادئة ذات النور الخافت، ويستقبل القبلة بخشوع وانكسار وتذلل... ويتحرى ألا يشوب طعامه ولباسه وكسبه شيء من الحرام..

#### ب- طهارة الجنان:

يقول رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَحْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ»<sup>(٢)</sup>.

#### فائدة

أيها الذاكر: إذا كان الله تعالى ينظر إلى قلبك، فعليك تطهيره من كل وصف يباعدك عن الله تعالى.

عليك بتطهير قلبك بالتوبة الصادقة إلى الله، وعليك أن تطهره من الشواغل والعوائق والأغيار، وتطهره من أمراض القلب من غفلة ورياء وحسد وحقد وكراهية...، فتقبل على الله تعالى بالحضور والتدبر في كل ألفاظ الذكر من استغفار، وتلاوة قرآن، وأدعية، والصلاة والسلام على النبي ﷺ، والتهليل

(١) الفوائد لابن قيم الجوزية ص ٢٠٨.

(٢) أخرجه مسلم (١٩٨٦/٤).

والتسبيح والتكبير والتحميد، ويُستحسن أن تُغمض عينيك، وتُسَدَّ منافذ طُرق الحواس الظاهرة، حتى لا تشغل بأحدٍ عن الله تعالى، وألاً تلتفت بقلبك عن مولاك.

### ثالثاً : الإقبال على الذكر بشوق وحرارة اندفاع:

#### فائدة

لا ينفع التكلف في الذكر أو البرود في الإقبال عليه، ولا يفيد الذكر إلا إذا أقبل عليه المرید بشوق وحرارة، ولا يُقبل المرید على الذكر بشوقٍ واندفاع، إلا حينما يتذوق لذّة الذكر، ويتقلب بنعيمه، ولا يتحقق ذلك إلا بالاستدامة على الذكر، وعدم الالتفات حتى يطمئن قلبه بذكر الله.

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَنَطَمَنُوا فُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [سورة الرعد]، وإلى أن يصل الذاكر إلى هذا المقام فعليه مجاهدة نفسه، ليحصل على قوة الإرادة، وليذكر الله تعالى بجملة عالية.

وعليه الاستعانة بالذكر مع الجماعة، فهو أعون على حصول المراد، كما يجب عليه محبة الذاكرين ومصاحبتهم وملازمتهم وعدم الابتعاد عنهم، كما يجب عليه التوكل على الله فيما همّ به من الدخول في رياض الذكر، والتوكل هنا هجر العلائق ومواصلة الحقائق، وحقيقة التدين تظهر في هذين الأمرين. إن همة الفرد على حسب ما أهمّه، وعلوّها على حسب مطلبها من الحياة.

يقول ابن قيم الجوزية : (لذة كل أحد على حسب قدره وهيمته وشرف نفسه، فأشرف الناس نفساً وأعلاهم همة وأرفعهم قدراً مَنْ لَدَّتْهُ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ وَالشُّوقِ إِلَى لِقَائِهِ، وَالتَّوَدُّدِ إِلَيْهِ بِمَا يَجِبُهُ وَيَرْضَاهُ)<sup>(١)</sup>. ويقول أيضاً: (فإن العزيمة والمحبة تُذهب المشقة، وتُطيب السَّيرَ والتقدُّمَ والسبقَ إلى الله سبحانه إنما هو بالهممِ وصدقِ العزيمة)<sup>(٢)</sup>.

#### رابعاً : الاستدامة على الذكر وعدم الترك:

على المرید الذاکر أن يستدیم على ذکر الله تعالی، وألا ینقطع عنه، لأن الذکر لا یثمر فی القلب النتائج المرجوة منه إذا کان هناك انقطاع وعدم استدامة.

إن المرید الصادق یدکر الله على کل أحيانہ اقتداءً بالنبی المصطفى ﷺ، كما ورد عن السيدة عائشة رضي الله عنها حين سُئِلت عن ذکر رسول الله ﷺ فقالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ»<sup>(٣)</sup>. وقال الله تعالی: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا نَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾<sup>(٤)</sup> [سورة النور]..

وعن عبد الله بن بُسرٍ رضي الله عنه أن رجلاً قال يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله»<sup>(٤)</sup>. ويقول النبي ﷺ: «مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ

(١) الفوائد لابن قيم الجوزية ص ٢١٩.

(٢) الفوائد ص ٢٠٨.

(٣) أخرجه البخاري (٢٢٧/٢).

(٤) أخرجه الترمذي، وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه (٤٥٨/٥).

اللَّهُ تَرَةً<sup>(١)</sup> وَمَنْ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تَرَةً<sup>(٢)</sup>.  
ويقول الله تعالى في وصف المنافقين: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>  
[سورة النساء]، فكيف بمن هو مُنْقَطِعٌ عن الذكر وتارك له!؟!

قال أبو الحسن الشاذلي: (من علامة النفاق ثقل الذكر على اللسان،  
فُتِبَ إلى الله تعالى يخفُّ الذكر على لسانك)<sup>(٣)</sup>.

### خامساً: حضور القلب وعدم الالتفات:

على الذاكر أن يتصف بحضور القلب وعدم الالتفات والتزام الهدوء  
والسكون ليتم له التركيز على تعميق الذكر في القلب حتى تحصل له الثمرة،  
وتتحقق له الغاية المرجوة. ولا يمكن تحقيق حضور القلب بالذكر إلا بأمور  
أبرزها:

- ١- استدامة الذكر .
- ٢- عدم الانقطاع عنه.
- ٣- صحبة ومحبة الذاكرين العاشقين لله تعالى.
- ٤- الحرص على عدم الالتفات أثناء الذكر بكل عزيمة وإرادة.
- ٥- مجاهدة النفس حتى تسكن للذكر وتنقطع عن العلائق والشواغل.

(١) التَّره: الندامة والنقص .

(٢) أخرجه أبو داود (٤/٢٦٤).

(٣) روضة الناظرين ، للإمام أحمد الوتري ص ٤٤ .

ولا يحصل الذكر المبتدئ مباشرة على حضور القلب في الذكر، بل يحتاج إلى إدمان الذكر لمدة زمنية مناسبة على حسب استعداده، ولو تحقق ذلك مع الجماعة لكان أقوى تأثيراً في حال الذكر وأجمع لقلبه من التشتت.

ولحصول جمعية القلب على الله تعالى يجب عليه قطع الخواطر؛ ومما يُعِينُ على قطعها وقطع الوسوس: تغيير صيغة الذكر فيتنقل الذكر في ذكره بين أسماء الله الحسنى وصفاته العليا (يا الله... يا غفور... يا ودود... يا رحيم... يا كريم... يا جواد... يا قريب... يا عليم... يا بصير... ) أو يقطع الخواطر والشروء بالصلاة على النبي ﷺ .

ولا يزال المرید يجتهد بحضور القلب مع الله أثناء الذكر حتى يهيمن عليه سلطان الذكر، وتنزل عليه النفحات، وتأخذ به المواجيد، فيرق قلبه وتنهمر عبرته ويدخل في عداد السبعة الذين يظلمهم الله في ظله، ومنهم: «...وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»<sup>(١)</sup>. أي ذكر الله تعالى وقلبه حاضر وخال مما سوى الله جل وعلا.. أو كان يذكر الله تعالى وحده على انفراد.

#### سادساً : عدم ترك الذكر بسبب عدم حضور القلب:

ينتاب بعض الذاكرين شيء من الوسوس والخواطر أثناء ذكرهم، فيتيهون في بحور الأفكار وأودية الشروء وفيافي الخواطر ..

فما إن يبدأ هذا الذاكر بالذكر حتى يغيب قلبه وعقله عن الذكر ولا يبقى إلا هيئته ورسمه وشخصه، وعندما يختم الذكر يصحو من خواطره فلا يجد عنده من حقيقة الذكر إلا اسمه ورسمه الظاهر.

(١) أخرجه البخاري (٢٣٤/١).

ويصبح الوقت المخصص للذكر مناسبة لتجميع الخواطر وتكثيرها وابتكارها، فلا يبقى شأن من شؤون الدنيا إلا ويجوز فيه حتى ينصرف الذاكر عن ذكره وقد أنهكته كثرة الخواطر والتفكير ..

وهنا يقع بعض الذاكرين في خطأ داهم ، إذ يتركون الذكر استجابة لوساوس الشيطان الذي يزين لهم أنه لا فائدة من جلسات الذكر التي تعجُّ بالوساوس والخواطر ، وأن عليهم تركها إذ لا فائدة يحصلون عليها وهم غافلون شاردون...

قال ابن عطاء الله السكندري: ( لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه، لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز) <sup>(١)</sup> .

#### سابعاً: عدم تأخير الذكر والتسوية:

إن من آداب الذاكرين المسارعة في الأعمال التي تقرب من الله تعالى وعدم التسوية فيها وفي مقدمتها ذكر الله؛ والمريد يمتلك الإرادة بتنظيم وقته وأعماله بحيث يستثمر وقته بالشكل الأمثل، فلا يعمل عملاً على حساب عمل آخر، بل يعطي لكل ذي حق حقه.

فَلَا هُوَ فِي الدُّنْيَا مُضِيعٌ نَصِيبُهُ وَلَا عَرَضُ الدُّنْيَا عَنِ الدِّينِ شَاغِلُهُ

وكما قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [سورة القصص: ٧٧] .

(١) إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة ص ١٠٣ .

قال ابن عجيبة في إيقاظ الهمم في شرح حكم ابن عطاء الله السكندري عند قوله: (إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونة النفس)، قال: فالواجب على الإنسان أن يقطع علاقته وعوائقه ويخالف هواه، ويبادر إلى خدمة مولاه ﷺ، ولا ينتظر وقتاً آخر، إذ الفقير<sup>(١)</sup> ابن وقته<sup>(٢)</sup>.

أي أن السالك يستثمر وقته المتاح دون تأخير أو تسويف (سوف أذكر سوف أصوم .. سوف .. سوف ..). ولا يتوقف على ما مضى من أحواله وأعماله؛ (عملتُ .. ذكرتُ .. صنعتُ .. أنجزتُ ..)، بل يعمل على تحقيق أكبر إنجاز من التقرب إلى الله تعالى في وقته الحاضر، وهكذا فالصوفي ابن وقته ..

#### ثامناً: قضاء الذكر:

إذا فاتك لعذر قاهر بعض أورادك في يوم من الأيام، فاجتهد أن تقضي هذه الأوراد إن استطعت، كما تقضي وظائف العبادات من النوافل. فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ»<sup>(٣)</sup>.

وكان النبي ﷺ إذا فاتته صلاة التهجد لعذر عوّضها بركعات من صلاة الضحى، فعن السيدة عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيْرِهِ صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رُكْعَةً»<sup>(٤)</sup>.

(١) الفقير : المقصود به هنا الصوفي

(٢) إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة ص ٦٧.

(٣) أخرجه مسلم (٥١٥/١).

(٤) أخرجه مسلم (٥١٥/١).

تاسعاً: الحرص والمواظبة على الذكر مع الجماعة:

ومن آداب الذاكرين أن يحافظوا على الذكر في الجماعة، فهو أَدْعَى لحضور القلب مع الله تعالى واستمطار رحماته ونفحاته وتجلياته وعدم الالتفات لغيره. يقول النبي ﷺ مرغباً بحضور مجالس الذكر مع الجماعة: «مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قَوْمُوا مَعْفُورًا لَكُمْ قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ»<sup>(١)</sup>.

وعن معاوية رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلَقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «مَا أَجَلَسَكُمْ» قَالُوا جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ بِهِ عَلَيْنَا قَالَ «اللَّهُ مَا أَجَلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ» قَالُوا وَاللَّهِ مَا أَجَلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ قَالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطَّرِيقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحْفُوْنَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي قَالَ تَقُولُ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُحْمَدُونَكَ وَيُجَدِّدُونَكَ قَالَ فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْنِي قَالَ فَيَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ قَالَ فَيَقُولُ وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجِيداً وَتَحْمِيداً وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحاً قَالَ يَقُولُ فَمَا يَسْأَلُونِي قَالَ يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٤٢/٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٧٥/٤).

رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَعْبَةً قَالَ فَمِمَّ يَتَعَوَّدُونَ قَالَ يَقُولُونَ مِنَ النَّارِ قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً قَالَ فَيَقُولُ فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ عَفَرْتُ هُمْ قَالَ يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ قَالَ هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْتَقِي بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»<sup>(١)</sup>

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«لَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ أَقْوَامًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي وُجُوهِهِمُ النُّورُ، عَلَى مَنَابِرِ اللُّؤْلُؤِ، يَغْبِطُهُمُ النَّاسُ، لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، قَالَ: فَجِئْنَا أَعْرَابِيًّا عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ حَلَّهِمْ<sup>(٢)</sup> لَنَا نَعْرِفُهُمْ؟ قَالَ: هُمْ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ قَبَائِلِ شَتَّى، وَبِلَادِ شَتَّى، يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ يَذْكُرُونَهُ»<sup>(٣)</sup>.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يَفْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَقَّقْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَعَشَّيْتُهُمُ الرَّحْمَةَ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٢٣٥٣/٥).

(٢) حلَّهم لنا: أي صفهم لنا.

(٣) مجمع الزوائد (٧٧/١٠).

(٤) أخرجه مسلم (٢٠٧٤/٤)..

عاشراً : آداب الذكر بعد الفراغ منه:

ثمة آداب يجب على الذاكر لله تعالى مراعاتها بعد الفراغ من الذكر ومنها:

أ- الهدوء والخشوع والسكينة والمراقبة مدة مناسبة قبل القيام من مجلس الذكر:

فلا يصح أن ينتقل الذاكر مباشرة إلى الانغماس بالكلام واللغو والجدال وأحياناً بالمزاح والضحك.. وقد يتجرأ أحد الأدعياء أحياناً على الخوض في أعراض الناس وسَلَقِهِمْ بِاللِّسَانِ حَدَادَ أَشْحَةٍ عَلَى الْخَيْرِ، ولا يرقب فيهم إلاّ ولا ذمة، ويرجمهم بالغيبة والنميمة والكذب والإفك والبهتان دون أدنى شعور بمراقبة الله، والله تعالى يقول: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَسَبُوا فَكَذَلِكَ أَحْتَمِلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا ﴾ [سورة الأحزاب].

ورب قائل يقول: كيف ينسب أمثال هؤلاء أنفسهم للتصوف وهم يفعلون ما يفعلون؟! والجواب: هناك فرق شاسع بين الدعاوى و الحقائق.

يقول الإمام أحمد الرفاعي رحمته الله: ( لو كلفت قلبك لباس الخشبية، وظاهره لباس الأدب، ونفسك لباس الذل، وأنانيتك لباس المحو، ولسانك لباس الذكر، وتخلصت من هذه الحُجُب... كان أولى لك ثم أولى.

لكن كيف يقال لك هذا القول (أي أنك منسوب للتصوف) وأنت تظن أن تاجك كتاج القوم، وثوبك كتوبهم، كلا الأشكال مؤتلفة والقلوب مختلفة... أي مسكين تمشي مع وهْمِك، مع خيالك، مع كذبك، مع عجبك وغرورك وتحمل نجاسة أنانيتك، وتظن أنك على شيء، وكيف يكون ذلك؟!.

قول

تعلم علم التواضع.. تعلم علم المسكنة والانكسار.. تعلمت علم الكبر، تعلمت علم الدعوى، تعلمت علم التعالي، (إيش) حصل لك من كل ذلك، تطلب هذه الدنيا (الجائفة) بظاهر حال الآخرة، لبئس ما صنعت، ما أنت إلا كمشترى النجاسة بالنجاسة، كيف تغفل نفسك بنفسك، وتكذب على نفسك وأبناء جنسك، لا يُقربُ المحب من محبوبه حتى يبعد من عدوه... (١)

. قال تعالى: ﴿ قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ. فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ (٨٤)

[سورة الإسراء].

وكثيراً ما كان شيخنا رحمه الله يردد ويقول:

أَمْ يَا خِيَامَ فَإِنَّهَا كَخِيَامِهِمْ وَأَرَىٰ نِسَاءَ الْحَيِّ غَيْرَ نِسَائِهَا

ويقول:

سَارَتْ مُشْرِقَةً وَسِرَتْ مُغْرَبًا شَتَانَ بَيْنَ مُشْرِقٍ وَمُغْرَبٍ

ويقول الإمام أحمد الرفاعي رحمته الله: (قال أهل الله عليه السلام): من ذكر الله فهو على نور من ربه، وعلى طمأنينة من قلبه، وعلى سلامة من عدوه... وقالوا: ذكر الله طعام الروح، والثناء عليه تعالى شراهما، والحياء منه لباسها... (٢).

#### وصية

لذلك يجب أن يشتغل الذاكر بعد انتهاء الذكر بالمراقبة وأن يستحي من رؤية الله ونظره، وعليه أن يستحضر بكل حواسه ومشاعره أنه بين يديه، وأن يراقب السكينة في قلبه ويستمطر الواردات من النفحات والتجليات والمنح الإلهية التي ترد على القلب...

(١) البرهان المؤيد ص ٣٦.

(٢) المرجع نفسه ص ٣٨.

ب- استحضار الذكر في القلب على كل حال من أحوال العمل اليومي:

يجب على الذاكر أن يستمر في مراقبة الذكر في قلبه عندما يسعى في معاشه وأداء واجباته وأعماله اليومية، وبخاصة في أوقات الفراغ، وكلما غفل أو انشغل عن ذلك انتبه وعاد إلى المراقبة، على قدر الاستطاعة.

ج- التمسك بأخلاق الذاكرين في السلوك اليومي:

فسلوك الذاكر العملي هو معيار وثمره ذكره، وحقيقة الذكر هو الذكر العملي الذي يظهر واضحاً جلياً في أخلاق الذاكرين، فلا يُتصَوَّر من الذاكر الحقيقي أن يكون فاحشاً ولا فظاً ولا بذياً اللسان ولا غليظ القلب، بل رفيع الخلق هيناً ليناً متواضعاً حليماً صبوراً...

وتظهر حقيقة ذكره عند الحلال والحرام وعند الأوامر والنواهي، بل تجده يترك بعض المباحات ويأخذ بالعزائم من شدة تعلق قلبه بالله عز وجل ويحتاط لنفسه من الحرام... كما قال النبي ﷺ: «لا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَدَرًا مَجْمًا بِهِ الْبَأْسُ»<sup>(١)</sup>.

وكما كان حال أصحاب رسول الله ﷺ، يقول سيدنا أبو بكر الصديق: (كنا ندع سبعين باباً من الحلال، مخافة أن نقع في باب من الحرام)<sup>(٢)</sup>. وهكذا يحتاط لنفسه ليبقى صافي القلب نظيف اليد واللسان والجنان، يسبح في بحار الأنوار، ويعيش في نعيم الوصال...

\* \* \* \* \*

(١) أخرجه الترمذي، وقال حديث حسن غريب (٤/٦٣٤).

(٢) الرسالة القشيرية ص ١١٠.